التقارير عما كان موجودا في روسيا سواء باللغة الروسية أو بلغات أخرى ولم يشر فيه قط الى « الرجال الذين كانت رؤوسهم تحت أكتافهم »(*).

وتمت دعوة جنكنسون إلى العشاء . « كان يجلس على الطرف العالي من المائدة صاحب الجلالة الامبراطور واخوه يوري وامبراطور قازان اديجر الذي كان أسيرا ، وكان امبراطور قازان يجلس أدنى بمترين وكذلك ابنه ذو السنوات الخمس . وتحته كان يجلس القسم الاكبر من نبلاء الامبراطورية . وعلى مائدة أخرى قرب الامبراطور جلس راهب بمفرده ولكن لخدمات كانت تقدم له من جميع النواحي تماما كما كانت تقدم للامبراطور (هو المتروبوليت) . وعلى طاولة أخرى كانت تجلس أنواع أخرى من الناس يسمون بالشراكسة كان الامبراطور يحتفظ بهم الى جانبه كرجال حرب » .

هذا العشاء الذي قدم في صحاف وأكواب من الذهب دام خمس ساعات . وبينما كان المدعوون يأكلون ويشربون كان ستة من المنشدين يقفون في مواجهة القيصر ويتغنون بأمجاده . وبعد اثني عشر يوما من عيد الميلاد وبمناسبة عيد الغطاس ذهب رجال البلاط كلهم للتبرك بالمياه وحضر الزوار الانكليز هذا الاحتفال . ومن جل هذه الغاية فتحوا ثغرة مربعة كبيرة في الجليد للوصول الى مياه نهر الموسكفا .

« في البدء وفي المقدمة مشى شبان يحملون قناديل من شموع مشتعلة بينما كان أحدهم يمسك بفانوس كبير . بعدئذ تقدمت رايات وصليب وايقونات نوتردام والقديس نقولا (صاحب المعجزات) وقديسين آخرين يحملها رجال على أكتافهم . ثم تقدم كهنة عددهم مائة أو يزيد . وبعد المتروبوليت أتى الامبراطور وعلى رأسه التج . وبعد جلالته أتى كل النبلاء . وقد امتدوا على هذا الشكل حتى شاطىء النهر . وعندما وصلوا بالقرب من الثقب الذي كان قد صنع في الجليد تحلق حوله الكهنة .

(*) يقصد الرجال التافهين الذين لا يستحقون الحديث عنهم . ـ المترجم ـ